وصايا عامة

للشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

-حفظه الله تعالى-

[شريط مفرّغ]✍

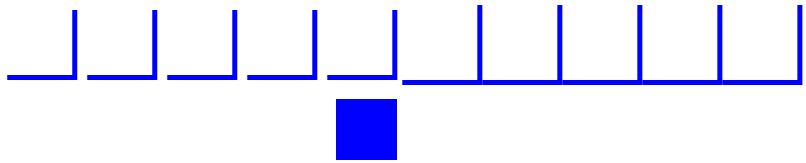

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، صلوات الله وسلامه على نبينا محمد، كفاء ما أرشد وعلم، وكفاء ما جاهد حتى تركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده صلى الله عليه وسلم إلا هالك.

وصلى الله على آله وعلى صحبه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن موضوع هذه المحاضرة هو:

وصايا عامة

وإن الوصية لها شأن في هذا الدين ذلك انه جاء في القرآن وجاء في السنة ذكر أوامر كثيرة ونواه بلفظ الوصية، كما في الوصايا العشر التي جمعها في آخر سورة الأنعام بين الأوامر والنواهي، قال جل وعلى في أولها ﴿**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا**﴾، قال في آخر الآية الأولى ﴿**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[الأنعام:151]، ثم قال في الآية الأخرى ﴿**ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ**﴾[الأنعام:152] ثم في الثالثة قال ﴿**ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ**﴾[الأنعام:153].

فالأوامر والنواهي وصية عظيمة من الوصايا التي في الكتاب السنة، ولهذا لا غرابة أن يكون المرء مستوصًا به، وأن

يكـون موصـيا فهو قد وصـي، وكـذلك ينبغي له أن ينقل هـذه الوصية إلى من بعده، فالوصية في هذا الدين أمرها عظيم.

[الوصية الأولى: تقوى الله عز وجل]

وأعظم الوصايا التي وصّى الله بها عباده المرسـلين وعبـاده المتقين من أول ما خلق الله آدم إلى أن يـرث الله الأرض ومن عليهـا: تقـوى الله جل جلالـه، ذلك أنّ الله سـبحانه وتعـالى أمر المرسلين جميعا أن يأمروا أقوامهم وأن يوصـوهم بتقـوى الله جل وعلا، قال سبحانه ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ**﴾[النساء:131] وإذا تأملت الشعراء وجدت أن كل رسول يأتي ويقول لقومه كما في قوله ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ**﴾[الشعراء:105-106]، وهذا فيه الحث والترغيب والأمر بالتقوى، قـال جل وعلا أيضا في قصة قـوم صـالح وفي قصة قـوم هـود كل أولئك يقـول الله جل وعلا للرسل أن أوصـوا أقوامكم بتقوى الله جل وعلا ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾[الشعراء:105-108]، فـالأمر بتقـوى الله جل وعلا أجمعت عليه الرسـل، وهو أعظم وصية على الإطلاق وآخر من وصّى أمته بتقـوى الله جل جلاله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال جل وعلا ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1) أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (**

2) وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾[هود:1-3]، وهذه هي حقيقة التقوى.

قال العلماء: التقوى أصلها وَقْوَى؛ لأنها مأخوذة من الوقاية هي من وقى يقي، إذا كان الشيء وقاية لشيء آخر قيل هذا وقاية، وذاك اتخذ تقوى من ذلك الشيء، ومنه كما قال العلماء في استشهاداتهم على هذه المادة منها قول الشاعر في امرأة سقط منها نصيفها قال الشاعر:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

يعني أنها جعلت يدها وقاية بينها وبين أولئك الذين يرونها فحقيقة التقوى أن تجعل بينك وبين ما تخافه وقاية.

ولهذا قال بعض السلف في تعريف التقوى: أن التقوى أن تطيع الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تخشى الله وأن تطيع الله وتبتعد عن مناهيه، تخشى الله وتخشى عقابه على نور من الله جل جلاله. يعني أن التقوى جمعت في الأمر والنهي بين أن تكون ممتثلا للأمر على نور من الله وأن تكون مبتعدا عن المنهيات على نور من الله، ترجو ثواب الله في ما تمتثل من الأوامر، وتخشى عقاب الله فيما تنتهي عنه من النواهي.

إذا تبين هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المؤمنين بتقوى الله، حيث أمر ذلك الذي استوصاه بقوله «**اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها**».

وتقوى الله في القرآن أقسام منها:

التقوى العامة التي خاطب الله بجل وعلى بها جميع الناس في نحو قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾[الحج:1]، وفي نحو قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ**﴾[النساء:1] في آية النساء وغير ذلك من الآيات.

قال العلماء هذه المرتبة هي المرتبة التي يجب تحصيلها على كل أحد، فهذه التقوى يؤمر بها المسلم، ويؤمر بها الكافر، وحقيقتها أن تكون موحدا لله جل وعلى مبتعدا عن الشرك ووسائله؛ لأن أول درجات التقوى عذاب الله وأن تتقي سَخَطه، وأن تتقي العقوبة في الدنيا وفي الآخرة بأن تكون موحدا مخلصا لله جل جلاله، مبتعدا عن الشرك ووسائله.

قالوا: وهذا فيه من علم وتعلم؛ لأن تحصيل التوحيد في القلب، وتحصيل فروعه، لابد له من علم، فمن الناس أن كثيرا من الأمور التي عدها العلماء من أفراد التوحيد أنها من التوحيد، وذلك لعدم علمهم بذلك، كذلك لا يعلم أن بعض الشركيات التي قد يمارسها بعض الناس أنها من الشرك، وهذا إن كان كذلك ولم يتعلم التوحيد والشرك فإنه لم يحصّل هذه الوصية العظيمة التي وصى الله جل وعلا بها المرسلين والأنبياء، وأمرهم أن يوصوا أقوامهم بذلك.

فأول الدرجات أن تكون ساعيا سعيا حثيثا في أن يكون قلبُك مع الله جل وعلا، وصلاح القلب ونوره إنما بكون الله جل وعلا فيه وبتخليص القلب من أن يكون فيه رغب ونظر إلى غير الله جلا وعلا، فإن حقيقة لذة القلب وحقيقة التقوى التي تحصل في القلب؛ لأن مكان التقوى هو القلب، التقوى هاهنا

وأشار إلى صدره ثلاث مرات عليه الصلاة والسلام، إنما يكون بأن يكون الله جل وعلا وحده في قلب العبد، فإذا دخل غير الله جلا وعلا في قلب العبد فإنه ينزاح منه من التقوى بقدر ما دخل من ذلك، يكون غير الله جلا وعلا في قلب العبد؛ يعني من جهة التوجه من جهة الإخلاص من جهة الإقبال، فيكون في القلب حب الدنيا، يكون في القلب حب الجاه، يكون في القلب حب المال، يكون في القلب حب السمعة، يكون في القلب حب الملذات والشهوات، فإذا قويت هذه في القلب ضعفت التقوى حتى ربما وصلت بالمرء إلى أنه يفرّط في الأوامر ويفرّط في أمر النواهي يعني يغشى النواهي ويترك الأوامر.

فصلاح القلب في تحصيل هذه الدرجة العظيمة من تقوى جلا وعلا وهي بأن تخلص القلب من غير الله جلا جلاله، وهذا إنما يكون بالمحاسبة، فإنّ لذة القلب إنما هي بالله جل وعلا، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما نقله تلميذه العلامة ابن القيم: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، أو من لم يعرفها لم يعرف جنة الآخرة. وهذه الجنة التي في الدنيا هي جنة لذة القلب بمعرفة الله جل وعلا وتوحيده والأنس به، فإن القلب المخبت المنيب أحوج ما تراه يكون لنفسه أن يكون مقبلا على الله منقطعا عن الخلق يعني أنه إذا خالط الناس فيخالطهم مخالطة الكاره لذلك، وأما قلبه فإنما هو معلق بالله جل وعلا في الأقوال وفي الأعمال، إذا تحرك قلبه فإنما يتحرك لله جل وعلا، وإذا فكر قلبه فإنما يفكر في أمر الله جل وعلا وفي دينه وفي ما يجب عليه وفي ما يحرم.

وأساس هذه الدرجة أن يكون القلب معلّق بالجنة خائفا من النار، قال جل وعلا ﴿**أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾[القصص:61]، قوله هنا ﴿**أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا**﴾ يعني ذلك القلب الذي قامت به التقوى وأثمرت عملا صالحا واقتراب من الأوامر وبعدا عن النواهي، فإن لكل شيء وسيلة.

فتحصيل هذه الدرجة من درجات التقوى، والتقوى كما ذكرنا هي أعظم وصية من وصايا الله جلا وعلا لعباده ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ**﴾[النساء: 131]، ما تُحَصّل به هذه التقوى أن يكون نظر المرء إلى الجنة كأنها أمامه وإلى النار كأنها أمامه، فينظر إلى الجنة وما فيها إلى النعيم ويوشك في يقينه أن يصير إليها إن رحمه الله جل وعلا ومات على الإيمان وعلى التوحيد، وينظر إلى النار وما فيها وما أخبر الله جلا وعلا عما ما في النار من النكال والعذاب، فيخاف ويرى نفسه وكأنه إن لم يرحمه الله جل وعلا قد واقع ذلك العذاب.

صلاح القلب بأن لا تغيب الجنة ولا النار عن ذلك القلب لحظة واحدة، فإذا كان القلب آتاه هذا النور آتاه هذا الصلاح كان متقيا لله جل وعلا بأعظم أنواع التقوى ألا وهو تحصيل الطاعات، تحصيل التوحيد وفروع التوحيد، والبعد عن الشرك وعن المنهيات.

إن هذا الأمر ألا وهو معرفة التوحيد ومعرفة ضده وهو الشرك يحتاج إلى تعلم، من الناس من يترك نفسه دون تعلم ويقول أنا على الفطرة، أو من في البيت على الفطرة، وأعظم

ما تتركه في بيتـــك؛ بل أعظم ما تتركه لنفسك وتجعل نفسك متعلقة به أن يكـون القلب دائما في سـلامة من أن يكـون فيه غـير الله جلا وعلا وذلك بتحقيق الإخلاص والبعد عن الشـرك، وهذا يحتاج إلى تعلم.

لهـذا لابد من أن للعبد نظر مع نفسه جـاء في هل حصّـل هـذه المرتبة من التقـوى أم لم يحصـلها، لأن التوحيد له فـروع كثيرة، ولأن الشرك له فروع كثيرة، ومن أنواع الشرك ما ينافي كمـال التوحيـد، ومنه ما ينـافي أصل التوحيـد، ومن النـاس من يغشى بعض الـذنوب المتعلقة بالتوحيد والشـرك يعـني منافيا لكمال التوحيد أو هي الـتي من شـرك الألفـاظ أو من الشـرك الأصغر دون أن يشعر.

والمرتبة الثانية من مراتب التقوى هي تقوى الله جلا وعلا بامتثال أوامره واجتناب نواهيـه؛ يعـني أن تـأتي كل أمر مما أمر الله جلا وعلا بـــه، وأن تنتهي عن كل نهي نهى الله جلا وعلا عنه.

كما قال طلق بن حبيب في تعريف التقوى: أن تطيع الله عن نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نـور من الله تخشى عقاب الله.

وكل أمر يحصّـل التقـوى ويزيد وكل أمر تمتثله من أوامر الله يزيد في التقـــوى في قلبك ويعظم الـــرغب فيما عند الله جلا وعلا.

والمرتبة الثالثة من مراتب التقوى هي التي ربما لم يحصل عليه إلا الخاصة من النـاس وهي أن يـترك ما لا بـأس حذرا مما به بأس، يترك بعض الأشـياء الـتي يشك فيها خشـية

أن يواقع المحذور، وهـذه قد جـاءت في بعض الأحـاديث كما في قوله «**لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما فيه بأس**» وهذا يكون بترك المشتبهات، وهنـاك مشـتبهات متعلقة بـالنظر، هنـاك مشـتبهات متعلقة بالكسب، هناك مشـتبهات متعلقة بـأداء العمـل، هنـاك مشـتبهات متعلقة بـأنواع العبد مع من حولـه، فمن تـرك تلك المشتبهات وابتعد عنها كـان بعيـدا عن الحـرام وكـان قريبا من امتثال أمر الله جل جلاله.

هذه هي الوصية الأولى الوصية بتقوى الله جل جلاله.

[الوصية الثانية: التفكر في آلاء الله]

أما الوصية الثانية فهي أن لا يترك العبد نفسه من التفكر في آلاء الله جل وعلا، وسكان المـدن الـذين يسـكنون في المـدن يفـوتهم شـيء عظيم ألا وهو التفكر في آلاء الله، التفكر في ملكوت الله جل جلاله.

والله جل وعلا أمر عباده بأن يتفكروا في الملكـوت، والتفكر في الملكوت يورث معرفة الله جل وعلا، ويورث معرفة ربوبيته جل وعلا، وإذا أثمر ذلك الربوبية في قلب العبد وفي عقله وفي لُبِّه، فـإن الربوبية تقـود إلى عبـادة الله جل وعلا حق عبادته.

قال سبحانه آمرا بالتفكر ﴿**إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾[سبأ:46]، وقال جل وعلا ﴿**قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[يونس:101] أهل المدن ينظـرون إلى السـماء وليست هي السـماء، وينظـرون إلى الأرض وليست هي الأرض، وينظـرون إلى النبـات وهو ينمو

وليس في عينهم نبات ينمو، ينظرون إلى ما يحصل حولهم ولكن يفوتهم التفكر والتدبر، فإذا حصّل العبد هذا الأمر ألا وهو امتثال أمر الله بالتفكر في آلاء الله فإنه يحصل له أنواع من الإيمان واليقين ومعرفة الله جل وعلا لا يدركها إلا من تدبَّر وتأمل.

نقول: إن توحيد الربوبية مما لم يبتل به الناس، فإن توحيد الربوبية يعني الإقرار بأن الله جل وعلا هو الواحد في خلقه، هو الخالق وحده وهو الرازق وحده وهو المميت وحده وهو المعين وحده إلى آخر أفراد توحيد الربوبية، هذا مما لم يبتل به الناس، وهذا صحيح فإن ابتلاء الناس إنما هو بعبادة الله وحده لا شريك له.

لكن ليس معنى ذلك أن يترك العبد التفكر في أفراد الربوبية، فإن التفكر في أفراد الربوبية أمر محتم واجب من الواجبات الشرعية؛ لأن الله جل وعلا أمر به، كم من آية في القرآن وكم من حديث في السنة فيه وصف آلاء الله جل وعلا، وفيه وصف ما في ملكوت الله جل جلاله.

فتأمل وانظر في هذا الملكوت تأمل الأرض كيف هيه، وقد أجمع العلماء على أنها كرة في السماء معلقة بلا عمد، وتأمل الشمس كيف تجيء وتذهب وكيف يحصل هذا ويحصل هذا من الذي فعل ذلك، وكيف خلقت الأرض على هذا النحو وكيف علقت السماء على ذلك النحو ﴿**رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾[الرعد:2]، وقال في الآية الأخرى ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾[لقمان:10]، السّموات والأرض عبرة للمعتبرين لكن من يعتبر؟ إنما يعتبر أولوا الألباب، قال جل وعلا ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي**

الألْبَابِ﴾[آل عمران:190]، فأولوا الألباب هم الذي يستخرجون الآيات من السموات والأرض، فلو كان المرء يجعل لنفسه بعض الوقت في أنه يخرج خارج المدينة لينظر في ملكوت الله جل جلاله، ينظر ويعتبر، كيف يخرج هذا النبات من هذه الأرض، ينظر في التراب فلا ترى فيه بذرة، فإذا أنزل الله جل وعلا عليه الماء اهتزت الأرض وربت ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى**﴾[فصلت:39]، وهذا أحد أفراد خلق الله جل وعلا.

تتأمل في السماء، تتأمل في الأرض، تتأمل في نفسك، تتأمل فيمن حولك، فهذا التأمل، وهذا التفكير ينتج لك أنه ولا شك أن الذي خلق هذا الخلق وصوّره أنه هو الله جل وعلا، وإذا كان كذلك فإن هذا القرآن الذي أنزله الله جل وعلا على رسوله حق وهو كلام الله، وأن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو رسول من عند الله حق، فيثمر لك ذلك بيقين أنه يجب أن تطيع، وأن لا تتردد في طاعة، فليس المجال مجال شك، وأن الخلق لابد سائرون إلى الله جل وعلا، وتأمل هذا الخلق وأن إعادة الخلق على الله جل وعلا أهون، كما قال سبحانه ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾[الروم:27]، فإعادة الخلق أهون من ابتدائه وخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس كما قال جل وعلا ﴿**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ**﴾[غافر:57]، فإذا تأمّل العبد ذلك ولم يكن فيما ينظر في الملكوت وفيما ينظر من خلق الله يكن إمعة بنظر نظرة غبي بليد؛ بل ينظر نظر ذكي، ينظر ويتأمل في هذا الذي حوله، لم خلق؟ ولماذا جاء الناس؟ ومن الذي صنع

هـذا؟ هل يعقل أن يكـون هـذا المسـجد جـاء من عند نفسه وتـركب هـذا الـتركيب؟ ليس كـذلك إنما لابد أن يكـون له من عمله، فخلق الله جل وعلا ملكوته أعظم وأعظم، فيخرج العبد من هذه الوصية بأنه ولا بد من إيقانه من أن الله جل وعلا هو ذو الربوبية على خلقه وأنه هو الذي يجير ولا يجار عليه.

فـــإذا أقـــرّ ذلك في القلب عظم ذلك في القلب، عظم في القلب تفويض الأمر إلى الله جل جلاله؛ لأنه يـرى هـذه الأرض على عِظَمها عند أهلها أنها صـــغيرة عند الله جل وعلا، فـــإن السـماوات وإن الأرض تُطـوى يـوم القيامة فتكـون في كف الرحمان جل وعلا، قال سبحانه ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**﴾[الأنبياء:104] وفي القراءة الأخرى ﴿**كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ**﴾، فهذا أمر عجيب، وقال سبحانه ﴿**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ [الزمر:67]، وهذه السماوات التي فوقنا سماء تلوى سـماء وبين السماء والسماء كل ذلك خمسمائة عام؛ يعني كِثَف كل سـماء مسـيرة خمس مئة عـام، وبين كل سـماء وسـماء مسـيرة خمسمائة عام، وهكذا حتى تنتهي السبع سـماوات، ثم يكـون كرسي الرحمن جل وعلا، ثم عرش الرحمن جل وعلا.

واليوم الناظرون بهـذه المراصد الجديـدة إلى هـذه الأجهـزة العجيبة توصَّـلوا إلى مسـافات عظيمة فيما رأوه من الأفلاك؛ لكن قـالوا: ثَم شـيء في هـذا الملكـوت، ثَم شـيء في هـذا الفلك لم نصل إليه ولم تدركه هذه الأجهـزة على عِظمها خلق الله عجيب ﴿**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ**﴾[غافر:57]، ومن يتدبر؟ إنما هم أولوا الألباب، لهذا في آية البقرة قال جل وعلا ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**

وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ قال في آخرها [إن في ذلك] ﴿**لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[البقرة:164]، وقال في آية آل عمران ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ**﴾[آل عمران:190]، فمن الذي يتفكر؟ من الذي يستفيد؟ هو ذو اللب وذو العقل، وهذا مما فوّته الأكثرون على أنفسهم، فوّتوا التدبر في أنفسهم، فوتوا التدبر فيما حولهم، فوتوا التفكر الـذي ينتج حتما أن الله جل جلاله هو الـذي خلق وهو الـذي صنع وهو الذي برأ، وإذا كان كـذلك فالمصير ولا شك إليه، هو سبحانه وتعالى هو الذي ابتدأ الخلق وهو الذي يعيده والنـاس صائرون إليه، ويوم القيامة آت لا محالة لا ريب فيه، فيورث ذلك العبد صحة في قلبه وصحة في عمله وصحة في اتباعه حتى لا يكون في قلبه شك فيما أخبر الله جل وعلا به ولا فيما جـاء به نبينا صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[الوصية الثالثة: انشراح الصدر بالإسلام]

الوصية الثالثة: أن الصدر له أحوال جاءت هـذه الأحـوال في الكتاب والسنة ومرتكزها على حالين:

الحال الأولى: أن تكون الصدر منشرحا للباطل، قال جل وعلا ﴿**وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا**﴾[النحل:106]، قال العلماء: انشـراح الصـدر بالباطل وسـيلة إلى عمله وإلى الاقـتراب منه وإلى الوقوع فيه.

وكذلك يقابله انشراح الصدر بالحق فإنه وسيلة وطريقة إلى أن يقبل العبد على هـذا الحق وعلى أن يأتيـه، قـال جل وعلا ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن**

رَّبِّهِ﴾[الزمر:22]، وقال جل وعلا ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء﴾[الأنعام:125]، وقال جل وعلا في فاتحة سورة الأعراف ﴿فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:2].

فهذا الصدر إنما بكون منشرحا للحق، وإما أن يكون منشرح للباطل، والباطل أنواع، والحق أيضا أنواع؛ ولكن جِماع الحق هو ما جاء في الكتاب والسنة، جِماع الحق هو دين الإسلام، والباطل شعب كثيرة ووسائله كثيرة، فمن شرح صدرا بنوع من أنواع الباطل فإنه وسيلة إلى أن يخسر ويخسر حتى يكون هذا الصدر قد حوى الباطل، ثم تواقع الباطل القلوب والجوارح.

لهذا كان من اللوازم على العبد أن يكون متأمِّلا في هذه الآية في قوله جل وعلا ﴿وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾[النحل: 106]، وفي قوله ﴿فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾[الأعراف:2]، وذلك أنّ انشراح الصدر بالحق وسيلة إلى مواقعته وأن انشراح الصدر بالباطل وسيلة إلى مواقعته.

بم يكون انشراح الصدر بالباطل؟ وبم يكون انشراح الصدر في الحق؟ إن أنواع الباطل كثيرة.

فخذ من أنواع الباطل انشراح الصدر لعدم تعظيم الرب جل جلاله، أحيانا يأتي من يأتي ويكون يحظر المجالس التي فيها عدم توقير لله جل جلاله؛ يعني إذا ذكرت الآيات فلا تجد في قلوبهم وجل ولا خوف ولا تعظيم للمتكلم بهذه الآيات، وإذا ذكر حديث الرسول صلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عارضوه بآرائهم وبعقولهم، فينشرح معهم ويضحك كما يضحكون ويستأنس كما يستأنسون، وهذا نوع من انشراح الصدر بالباطل، والواجب

على العبد أن يكون قلبه منشرحا للحق، وإذا أتاه نوع من أنواع الباطل فيكون في القلب بُغض لذلك يكون للصدر بعد عنه وكراهية لذلك الشيء.

لهذا انشراح الصدر بالباطل يأتي بالباطل حتى يغشاه العبد.

خذ مثلا الغيبة كلنا يعلم أن الغيبة حرام، وهي كبيرة من الكبائر، فلا يزال العبد يستسهل بها حتى يكون حديثه غيبة، ينشرح صدره لهذا النوع من أنواع الباطل حتى يعاقب بأن لا ينفك عنه.

خذ مثلا فضول النظر، النظر إلى النساء، وعدم غض البصر عنهن، فلا يزال ينظر وينظر ويستهل يذلك حتى ينشرح صدره إلى ذلك، فيرى أته ليس ثَم شيء في النظر إلى ذلك فيغشى أنواعا من الباطل بانشراح الصدر لذلك الباطل.

كذلك خذ فضول الكلام فضول اللسان، فإن الصدر والقلب ينشرحان لهذا النوع من الباطل بأن يدخل في كلام لا يسوغ، كلام فيه تعدي، فيه نيل من الأعراض، أو قول فيه مقالة سوء وظن سوء إلى آخره مما نهى الله جل وعلا عنه من موبقات اللسان ومن آفات اللسان فينشرح صدر العبد بذلك حتى يكون همه ذلك.

خذ مثلا أيضا من فضول المقال ما يكون من البعض من أنه يأتي عنده أصحاب وإن كانوا أصحاب خير وهدى، فيدخلون في كلام يعلم هو أنه لا يجوز لكم رعاية لصحبتهم يدخل معهم في ذلك المقال، إما فيه نيل من أهل العلم، أو فيه نيل من المسلمين، أو فيه ظن سوء أو فيه اتباع لغير سبيل المؤمنين من البدع والمحدثات، ونحو ذلك، فيظل يجامل -كما يقال- ويجامل و يجامل حتى ينشرح صدره بالباطل.

والواجب على العبد أن يسعى ألا ينشرح صدره بالباطل، وكيف ينشرح الصدر بالباطل؟ بأن يتساهل شيئا فشيئا، فإذا تساهل [أحدث].

كذلك في المقابل في الجهة الأخرى انشراح الصدر بالحق، قال جل وعلا ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾[الزمر:22]، إنّ انشراح الصدر بالإسلام بأوامر الإسلام يكون أوّل الدرجات منه بقبوله وبمحبته حتى ولو لم يعمله العبد، فإنّ العباد قد لا يعملون بكل ما أُمروا به؛ لكن الواجب عليهم أن تنشرح صدورهم للحق، تنشرح صدورهم لأمر الله جل وعلا؛ فإنّ هذا يُعقبهم خيرا، وإن العبد يهم بالحسنة فلا يعملها فتكتب له حسنة، وهذا من رحمة الله جل وعلا بالعبد؛ لكن انشراح الصدر بالحق انشراح الصدر بأنواع الهدى بأمور الإسلام، هذا يسبّب لك أنواع من القرب للخير، فأمور الإسلام وشعب الإسلام كثيرة متنوعة، فإذا شرح الله صدرك للإسلام، فإنك تقبل على روضات وجنات، قال سبحانه ﴿**فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا**﴾[الأنعام:125].

إذن فانشراح الصدر بالباطل هذا وسيلة إلى غشيان الباطل، فالواجب على العبد أن يحاسب نفسه وأن لا يجد من نفسه انشراحا لنوع من أنواع الباطل، وإنه لو تساهل تساهل فإنه يكون هو الذي جنى على نفسه.

كذلك إذا رأى العبد نوعا من أنواع الخير فأول الدرجات أن ينشرح صدره لذلك الخير لما جاء من أمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحب ذلك ويحب من عمل به حتى ولو لم يعمل به، فإن انشراح الصدر بذلك وعدم حرج الصدر مما

أنزل الله جل وعلا فإنه نوع من أنواع العبادة وسبب من أسباب الهدى والفلاح.

[الوصية الرابعة: الجِدّ وترك التسويف والأماني]

الوصية الرابعة: وصية بالجد وترك التسويف ترك الأماني.

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى إن مفسدات القلوب خمسة:

- [كثرة] المخالطة.
- والأماني.
- وفضول الكلام.
- والشِّبع.
- و[كثرة] النوم.

أصول مفسدات القلب خمسة كثرة المخالطة، والأماني وفضول الكلام والشبع يعني دائما وكثرة النوم، وهذا الذي قاله صحيح وقد شرحه وبينه.

يهمنا منهما اثنتان:

الأولى منها الأماني وهي التسويف، ووصيتنا هذه يترك التسويف وترك الأماني، وقد ثبت في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**» والأماني بحر لا ساحل له.

من الناس من يتمنى، خذ مثلا من الشباب من يتمنى أن يكون طالب علم، يتمنى أن يكون فاهما للعلم؛ لكن متى تبدئ بجد؟ يقول سأبتدئ، متى؟ بعد الاختيارات، منهم من إذا أتت

العطلة قال أول العطلة ننشغل بها، ثم بعد ذلك في منتصفها، في آخرها إلى آخر ذلك، يعلل النفس بالآمال، يعلل النفس بأنه سيعمل ويعمل، وينقضي العمر وتنقضي زهرة العمر وهو الشباب ولا يحصل شيئا.

السبب أفسد إرادته بالأماني الباطلة، من اقتنع شيء فليغشه فورا، إذا اقتنعت بأنك تريد أن تكون طالب علم فلتبدأ فورا.

بعض الناس يريد أن يكون مطيعا يعلم أنه على معصية وعلى ذنب أو مفرطا بواجب من واجبات الله، متى تتوب متى تتيب؟ يقول انتظر شهر شهرين حتى أنتهي، ثم بعد ذلك أصحّح العمل، أصحح الطريق، أنظر إلى نفسي وأحاسبها محاسبة جازمة، نوع من الأماني وهي من مفسدات القلوب.

التسويف (سوف) هذه من أعظم الأسلحة التي تفتك بالناس، من الناس من يعلم أن أهل بيته بحاجة إلى توجيهه، بحاجة إلى إصلاحهم، بحاجة إلى النظر في أحوالهم؛ ولكن متى يبتدئ يقول الآن عندي مهمات وعندي كذا وكذا، إذا ابتدأت العطلة كما نسمعها كثيرا سأسافر معهم وسأبدأ في نصحهم وسأضع لهم درسا وأوجه، وأبدأ معهم في السيرة، أو أبدأ معهم في دراسة لبعض كلمات السلف الصالح، أو في جلسات مختصرة مع الأهل أو الأولاد أو الإخوان إلى غير ذلك، فيمتد به الزمن ويأتي الشاغل تلو الشاغل وهو في أماني، لا حصّل ما يريد ولا هو انتبه إلى غلطه مع نفسه.

كذلك في باب الأماني، أماني الخير، أماني الإصلاح، أماني هداية الناس إلى الحق والهدى، على مستوى المجتمع، أو على مستوى الأمة.

من الناس من يقول سواء كانوا أفرادا أو مجموعات أو جماعات سنعمل، سنعمل وتمضي السنون ولا يعمل شيئا، أو ربما عملوا شيئا غير محمود، فسيصحون ويقتنعون أن هذا الذي هم عليه ليس بجيد أو أن غيره أفضل منه أو أنه خطأ، فيتمنون الأماني في الإصلاح وهم ماكثون على شهواتهم أو ماكثون على انقضاء أوقاتهم في غير الجد.

إذا اقتنعوا بهذا الشيء فالواجب أن يبادروا فالشباب وعمر الشباب هذا فرصة لا تعوّض فقد قال التهامي رحمه الله في مرثيته لولده التي مطلعها:

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بأرض قرار
يرى الإنسان فيها مخبرا حتى يرى خبرا من الأخبار

قال بعد ذلك:

ومكلف الأيام ضد طباعها وتطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء على شفير هار

إلى أن قال:

وتراكضوا خيل الشباب فإنما أعماركم سفر من الأسفار

لا بد من الجد، الأماني لا بد أن تتحول إلى واقع، منضبطة بضابط الشرع، فإذا كان ثم أماني في الخير والإصلاح على مستوى صغير أو على مستوى كبير فلا بد من البدار، البدار، البدار، والمرء يعادل الفترة التي يمكنه فيها أن يعمل شيئا خيرا يعاجلها قبل أن يأتي فترة لا يستطيع فيها أن يعمل شيئا، وهذا

مما يجب أن يُتدارك ولا تترك الأعمار تمضي وأن تترك الأوقات تمضي دون نظر.

إذا نظرت في أحوال البيوت، إذا نظرت في أحوال المجتمع وجدت أنواعا من الفساد، أنواعا من المخالفات، أنواعا من التفريط في الأوامر هدى الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وكل في بيته، من طلبة العلم أو أمام مسجد أو مؤذن مسجد، كل نريد أن نقوم بكذا ونريد أن نقوم بكذا، وتمضي الأيام والسنون وهم في أماني، وإذا عملوا شيئا فأنه ليس بعمل جاد، هو مقتنع أن العمل الذي عمله ليس بعمل جاد، تنتظر إلى متى؟

هذه الأماني يجب أن تزال وأن تحول إلى حقيقة، أن يحول لأمنية الخير إلى حقيقة وإلى واقع يبدأ المرء في تنفيذه؛ لأنك لا تدري إلى كم تعيش، وإلى متى تعيش إلى أن تبلغ ما أمر الله جل وعلا بتبليغه، وأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم أم لا؟

إن الاجتهاد في الدعوة يجب أن يكون على الفور، والدعوة لا تكون إلا بتعاون على البر والتقوى، فأصل الدعوة بالتعاون، ومن الناس -كما قد سمعتُ وعُرض علي شيء من ذلك- من الناس من يقول نريد أن نعمل، ونريد أن نكوّن مجموعة تدعو إلى الخير، ونكون مجموعة يتعاونون على مستوى حارتهم أو على مستوى قرينهم أو إلى آخره، وتمضي الأيام وهم في أماني لم يحصلوا شيئا، لا بد من التسابق مع الزمن، لا بد أن تسعى وأن تبتدر نفسك، وأن تبتدئ بمن حولك وأن تسعى في الإصلاح والخير وألا تتمنى على الله الأماني فالأماني مضرة.

ولهذا نقول: إن من رام شيئا من أمور الخير والصلاح فليبادر به قبل أن يفوت الوقت.

إذا نظرت الآن إلى الأحوال وجدت عندنا من المنكرات ومن المفاسد ما يزيد كل سنة بسنة، كل سنة يزيد من انحراف الناس عن الحق والهدى ومن غشيان الباطل للقلوب وإقبالهم على الشهوة؛ خاصة شهوة المال والنساء أقبل الناس عليها دون حد، وهذا لا بد له من إصلاح يجابه ذلك به ذلك لكن مقيد بالضوابط الشرعية، العباد لو عملوا لأدركوا، فقد كان بعض الأدباء كتب كتابة في وسيلة من وسائل الإصلاح، وبحسب نظره قال لما عرض واقع يعيشه وقال: عُدِم الرجال أو لم ينهض الرجال بواجبهم، هل عُدِم الرجال؛ فلم يجد أحدا يقوم بواجبه الذي جعله الله جل وعلا على هذه الأمة؟ أم أنه ثم رجال لكن يتمنون الأماني؟ لا شك أنه أول درجات معرفة الواجب أن يتخلص المرء من الأماني، وأن يسعى جهده في أن يجعل يومه وليلته في الخير والهدى والصلاح؛ لأن هذا الأمر الذي ترون من انتشار الموبقات والمنكرات وأنواع المفاسد وأنواع المفاسد، لا بد له من إنكار، لابد له من تعاون على البر والتقوى لتقليله أو إزالته.

الوصية الخامسة: الإقلال من الخِلطة

الإقلال من الخِلطة أو الخُلطة كما نصح ابن القيم رحمه الله؛ لأن من مفسدات القلب الإكثار من الخُلطة.

قال والخُلطة نوعان:

- نوع منها يفسد القلب.

- ونوع منها يصله القلب.

فأما التي تفسد القلب فهي أن يسعى في مخالطة الناس والكلام معهم في فضول المباحات، أو أحيانا بالمشتبهات أو بالمحرمات؛ يعني يجب أن يكثر الاختلاط، يحب أن يكثر معارفه، يحب أن يتعرف على هذا وهذا، ويأتي مجلس هذا وينتقل من مجلس هذا إلى ذاك، ويتعرف على عشرة وعشرين وثلاثين، وهذه الكثرة في التعارف هي سبب لأن تتأثر بما عند أولئك؛ لأن كل إنسان فيه خير وفيه شر، فإذا كان من يخالطه العبد عنده بعض الشرور فإنه مع كثرة الاختلاط لا بد أن يأخذ من هذا وهذا، وربما اجتمعت عليه، وهذه خلطة مذمومة.

والقلب المتعلق بالله جل جلاله لا يأنس بالخلق كثيرا إلا إذا كان في توجيههم وفي إرشادهم وفي التعامل معهم على البر والتقوى، أما هو فيكون مشغولا بربه جل وعلا عما سواه وفي الله جل جلاله شغل عما سواه.

فكثرة المخالطة سبب من أسباب فساد القلب، إذا كانت المخالطة بحسب ما اتفق.

القسم الثاني من أنواع المخالطة: أما إذا كان العبد يخالط رغبة في الخير، إذا حضر مكانا وتعرف على أحد، فإنما يتعرف ويخالط لأجل تحصيل الخير ولأجل دفع الشر، فهذا مخالطته محمودة، وفيها صلاح لقلبه، وقد تحضر مجلسا أو مجالسا فنخجل من أن تجعل ذلك المجلس مجلس خير وهدى، فتخالط وربما شاع في ذلك المجلس ما هو من فضول المباحات، أو ربما من الكلمات التي ضررها أكثر من نفعها، أو ما هو من المحرمات، فلا بد أن يكون الراغب في صلاح قلبه

وفي صلاح الآخرين أن يأخذ بهذه الوصية التي أوصى بها ابن القيم في أن يكون المرء مِقداما في الخير، يعني إذا حضر مجلسا فليبدى الكلام.

إذا نظرت إلى المجالس، ربما تحضر مثلا في وليمة في عزيمة، تحضر في لقاء مع أناس إلى آخره، تلحظ أن الناس يبدؤون ويتكلمون في موضوع، ثم تمضي مدة وهم يتكلمون في ذلك الموضوع، فإذا ابتدأت أنت الكلام في موضوع ما، فإنه غالبا ما ينشغل الناس بتحليلات ذلك الموضوع مدة من الزمن يكون فيها الخير وفيها التوجيه والدعوة والصلاح.

فإذن الذي يجب على الذي يسعى في صلاح نفسه وفي صلاح غيره أن يكون مقداما في الخير، يأتيه الشيطان -كما قال بن القيم- في بأحبولته التي قليل من ينجو منها فيقول: إذا تحدثت أو إذا قلت فإنك تريد الشهرة أو تريد أن تذكر أو تريد أن تصرف وجوه الناس إليك أو نحو ذلك. قال: فإذا أتى بهذه الأحبولة فتعوّذ بالله جل وعلا منه، وتوكّل على الله جل جلاله، واجعل مخالطتك ومجالسك في خير وهدى وإرشاد الخلق إلى ما يجب عليهم أو إلى ما ينبغي أو ما يجب أن يحذروه.

إذن المخالطة هذه يجب أن تصنّف نفسك معها إلى أي درجة تخالط، وما هي مخالطاتك، بعض الناس يعرف مئة مائتين، ما شاء الله، وبعضهم يعرف أكثر أو أقل، وبظن أن كثرة المعارف هذه وكثرة إتيان هذا وهذا وهذا أنها أصلح للقلب، ليست كذلك، فصلاح القلب بقلة المخالطة، إلا ما كان بمخالطة في أمر بمعروف ونهي عن منكر أو في علم أو دعوة أو خير أو فلاح، فهذه المخالطة محمودة، وإذا أقلّ العبد المخالطة أنس بربه عز وجل، أنس بالقرآن، اشتاق لله جل

وعلا، اشـتاق لكتابـه، إذا صـلى فإنه يكـون للصـلاة في حقة معـنى فإنه ينـاجي ويحس أنه لن يكـون مسـرعا في طلب مخالطة للخلق وهو منشغل بمناجاة الله جل وعلا عن مناجـاة أو مناداة الخلق ومخالطتهم.

تلحظ من نفسك أن الذي يكثر المخالطة ويكـثر الحـديث مع النـاس حـتى على أبـواب المسـاجد قبل الإقامة أنه إذا دخل الصـلاة لا يـدخلها بقلب خاشـع، لا يـدخلها بقلب قد ظهر عليه -بتقييمه لنفسـه- لـذة مناجـاة خالقه جل وعلا؛ وذلك لأن كـثرة الخلط تقتضي كثرة سماع كلامهم، وكثرة السماع تشغل القلب وتشغل العقل إلا ما كان في حق وهدى.

إذن فالمخالطة يجب أن تـوزن بمـيزان، وأن تتنبه لهـا، في نفسك، كذلك في من تعـول، كـذلك فيمن حولـك، كـذلك فيمن توجّـه، أخ لك أو صـديق أو ابن أو بنت إلى آخر أصـناف النـاس يأتي ويخالط هذا ويخالط الثاني والثـالث، كم له من أصـحاب؟ أو كم لها من الصاحبات؟ تجد أن لها عددا وأن له عـددا، وهـذا لا شك أنه يحـدث أنـواع من المفاسـد، فـالمربي كما أنه يـربي نفسه على قلة الخلطة والاختلاط إلا فيما ينفع، كذلك ينبغي له أن يكـون في تربيته لمن حوله إذا كـان لا بد أن تخالط فـأن تكون مخالطتهم وأن تكون أصـدقاؤهم عـددا محـدودا، وهـذا من الأمـور الـتي ينبغي أن يتنبه لها المربّـون خاصة في الـبيوت وأولياء البيوت.

[الوصية السادسة: تقديم حب الله ورسوله ✝ × عما سواهما]

الوصية التي تليها وصية عامة وخاصة، هي عامة لجميع الناس وخاصة لخاصة الناس، ألا وهي أن يكون الله جل جلاله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب للمرء مما سواهما، وهذه من أسباب تحصيل لذة الإيمان للقلب «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**» إذا كان الله جل جلاله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب للعبد من كل ما سواهما؛ من نفسك، من أهلك، من الدنيا، من المال، من الشهوات، فإن هذا يثمر تعلقا للعبد بالآخرة، وامتثالا في هذه الدنيا لأمر الله جل وعلا وأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويثمر ترك الأهواء والشبهات والشهوات؛ لأن العبد إذا كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإنه يسعى إلى أن تكون هذه المحبة صحيحة، وهذه المحبة إنما تكون صحيحة بأن يتعرّف العبد على ما جاء في القرآن وما جاء في السنة، فإذا علمه وتعرّف إليه عمل به.

ولشيخ الإسلام رحمه الله كتاب عظيم اسمه "قاعدة في المحبة" وبنى هذا الكتاب على هذا الحديث، وقال فيه يعني قاعدة الكتاب: أن المحبة هي المحركة، فمحبة صاحب الدنيا للدنيا هي التي حركته لهذه الدنيا.

إذا أحب المال تحرك، قام آخر الليل لأجل أن يذهب إلى المكان الفلاني في الوقت الفلاني.

محبة بعض الرجال للنساء وللشهوات تجعله يتحرك في ذلك ولو بذل وقتا ومالا إلى آخره.

محبة أهل الطاعة للطاعة جعلتهم يتحركون للطاعة.

محبة أهل الإصلاح للصلاح جعلتهم يتحركون في الإصلاح.

إذا كـان اللّه ورسـوله أحب للعبد مما سـواهما فإنه ينتج من ذلك أن تكون حركة العبد وتحرك العبد لله جل جلاله وفي أمر رسـوله صَـلَّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وليس للخلق ولا لأحـد؛ لأن المحبة هي التي تولّد الحركة هذا أصل وقاعدة ولها تفريعات.

من تفريعاتها أن محبة اللّه جل جلاله ومحبة رسـوله صَـلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقتضي أن يكـون العبد محكّما لكلام اللّه وكلام رسوله صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نفسه دون غلبـةِ الهـوى؛ لأن المحبة كلما زادت كلما تخلص العبد من الهوى، والهـوى مـركب كما قال بعض الأدباء مركب يلذ للقاصر الغريق، هو مـركب يلذ للقاصر الـذي لا يعرف العاقبة ولكن النهاية يغـرق في هـذا المركب.

الهـوى هو أحد أعظم الأسـباب الـتي تصـرف عن محبة اللّه ورسوله، إذن فثم أصل ونتيجة:

الأصل: محبة اللّه جل وعلا ورسوله صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ونتيجة هذه المحبة ترك الهوى.

فمن كـان عنـده بعض الهـوى إما في الشـبهات أو في الشـهوات، فينتج من ذلك التعقيد أن محبته لله جل وعلا ولرسوله صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبة ناقصة، وقد قال جل وعلا ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[آل عمران:31]، قال بعض السلف: ليس الشأن أن تُحِب -يعني أن تحب اللّه- ولكن الشأن أن تُحَب، فإذا كـان العبد في هذا الأصل ألا وهو محبة اللّه جل وعلا ومحبة رسوله فإنه ينتج عنه تـرك الهـوى، والهـوى لا بد أن يـذكر بعض مظـاهره؛ لأن تعظيم المحبة سببه ترك الهوى.

ومن مظاهر تحكيم الهوى أن يعطل المرء طاعة الله جل وعلا وطاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض النصوص لما ألفه أو لما تعلمه أو لما نشأ عليه.

والهوى قد يكون سببه الإلف، يكون ألف شيئا حتى يكون صار هوى له ورغبة، وحتى يظن أنه الحق، وقد يكون نشأ على شيء، وهذا الذي نشأ عليه غلب على عقله وغلب على لبّه حتى صار هوى له، ويكون الحق في غيره، المرء لأجل محبته لله جل وعلا ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب عليه أن يُخَلِّص نفسه من أن يكون له هوى في شيء، إلا بما جاء به المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**».

النشأة -كما ذكرتُ، هذه قد تكون [أنفع] للشباب لها أثر في أن يكون المرء صاحب هوى، قد ينشأ على قول يظنه حقا ويعتمد ذلك القول ويدافع عنه ولا ينظر إلى النصوص التي ربما دلت على خلاف ذلك القول، إذا دلت النصوص على ما نشأ عليه الحمد لله، هذا توفيق، وإذا دلت على خلافه فإن محبة الله جل وعلا ومحبة رسوله وإن كون الله جل وعلا وكون رسوله أحب إلى العبد مما سواهما يقتضي أن يترك الهوى، وأن يسعى في تلقي العلم وتلقي ما يعتقد، وتلقي ما يعمل به على ما دلت به النصوص.

قال بعض أهل العلم: إن للتربية وللعلم أثرا في الطباع كما أن لرضاعة الصغير أثرا في الطباع، الصغير إذا أرضعته من

عنـدها صـفات مذمومة ربما أتت هـذه الصـفات، يـأتي بها الرضاع.

ولهذا جاء عن بعض السلف أنه قال: إن الرضاعة نسبة فلا تسقي من يهودية ولا نصرانية.

وقد كان بعض العلماء خطيبا فحلا يـؤثر في النـاس، وكـان مهتما برضـاع أحد أولاده، حـتى إنه حـرج امرأته في أن يرضع ذلك الولد إلا هي أو إلا من يعلم، فحصل مـــــرة أنه أتت ذلك البيت امرأة وكانت تُرضع وأرضـعت ذلك رضـعات في غيبة من الوالد، حتى رضع رضعات متعددة، شبّ ذلك وصار من العلماء فكـان إذا تكلم ربما أدركته حُبْسة وهو يتكلم وليس على شـأن أبيه، وكما تعلمون أن اللبن منسوب إلى الوالـد، فيقـال له كيف أدركتك تلك الحبسة وأنت ابن فلان فقال هذا من آثار الرضـعة الأولى.

فالرضعة مؤثرة ولاشك والرضاع مؤثر.

وكـذلك رضـاع الآراء، رضـاع الأفكـار، فـإن الـذي يقبل على الخـير ويقبل على الاسـتقامة يرضع من الخـير والهـدى بحسب من يخالطه، فإذا أدرك بعد ذلك زمن واسـتقام وأقبل على الله جل وعلا صار لا يحتـاج في الغـالب إلى موجـه، يجب عليه بعد ذلك أن يتأمل نفسه في هذا الأمـر، وهو تخليصـها من الهـوى؛ لأنه ما اســتقام ولا رغب إلا رغبة في أن يكــون الله جل وعلا ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ أحب إليه مما سـواهما، وسـبيل ذلك أن يـترك الهـوى إلا في طاعة الرسـول صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ.

وهـذه مسـألة مهمة ينبغي أن تتدارسـوها، وهي أن المـرء في أول إقباله يعلق بذهنه أشـياء وبقلبه أشـياء قد لا يسـتطيع

التخلص منها، إلا إذا حزم على نفسه وخلّص نفسه من الهوى وأقبل على تحكيم العلم وتحكيم الكتاب والسنة، وهذا ولاشك يتطلب من المرء جهدا ويتطلب من المرء حسن توكل من الله جل جلاله وفي ذلك أعظم الأثر أعني عظم التوكل على الله جل جلاله.

هذه مجموعة من الوصايا اقتضاها الخاطر المستعجل، ولعل فيها كفاية ونجعل بقية الوقت للأسئلة.

هذا، وصلى الله وسلن على نبينا محمد.

[الأسئلة]

س1/ ذكرتم حفظكم الله الحديث الذي روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**» فضيلة الشيخ ما صحة .....

وما الراجح في الاحتجاج بالضعيف في غير الأحكام والعقائد وفقكم الله.

ج/ الحمد لله.

أما هذا الحديث فإنه من الأحاديث التي اختارها النووي رحمه الله تعالى في الأربعين النووية المعروفة، وقال فيه: حديث صحيح رُوينا في كتاب الحجة بإسناد صحيح. وذكره بهذه العبارة إمام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد.

والذين ضعفوه: ضعفوه لأجل أن في إسناده نعيم بن حماد، وقد قال عدد من أهل العلم أنه ضعيف من قبل حفظه على إمامته في السنة وقوته على أهل البدع والمحدثات.

وهذا الذي أعدوه به ليس بوجيه من جهتين:

الجهة الأولى: أن تضعيف نعيم ابن حماد ليس بالتضعيف الذي طرحوا ومعه حديثه مطلقا، وإنما إن قيل بتضعيفه كيف لمن قال ذلك فهو يقبل حديثه إذا تُوبع أو إذا صار لحديثه شواهد.

وهذا الحديث الذي صححه النووي ليس فيه شيء جديد؛ بل هو معنى قول الله جل وعلا في سورة النساء ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾[النساء:64]، قال العلماء هذا الحديث في معنى الآية، وإذا كان كذلك فإن هذا الحديث صحيح لأن الآية شاهدة له، وهذا على التنزل على أن الحديث إسناده ضعيف.

والوجه الثاني من ذلك: أنه من المتقرر من أهل العلم أن الحديث إذا كان شهد له آية من القرآن فإنه يصح من ذلك الحديث، وينسب مع ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذكر هذه القاعدة في غير موضع ابن جرير رحمه الله في تفسيره العظيم للقرآن جامع البيان، وكذلك في كتابه تهذيب الآثار، وهو الذي عليه عمل أهل العلم.

فإذا كانت الآية في معنى الحديث فإنه لا إشكال أن يقال أن الحديث صحيح لأنه ليس فيه معنى يخالف ما جاء في الكتاب ولا في السنة؛ بل إن ما فيه موافق للقرآن وما في السنة.

الشق الثاني من السؤال مسألة الاحتجاج بالحديث الضعيف في العقائد والأحكام، هذه المسألة لها أحوال، ذلك أن الحديث ضعيف -يعني ما سنتكلم عليه هو الحديث الذي لم يشتد ضعفه- وذلك بأن يكون في الإسناد راوٍ ضعيف الحفظ

أو لين أو مقبول أو مستور الحال أو نحو ذلك، فهذا تقبل له الشواهد، وإذا وجد ما يشهد أو يستشهد له به فإنه يخضع وينتقل من الضعف إلى الحسن لغيره.

في العقائد أهل الحديث لا يحتجون بحديث الضعيف في العقائد، وقد قال هذه الكلمة شيخ الإسلام ابن تيمية لأن العمدة في هذا الباب على طريقة الحدثين المتقدمين من أئمة السنة كالسفيانين وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان وكالإمام أحمد وعلي ابن المديني ويحيى بن معين وإسحاق ابن راهوية والحميدي والبخاري ومسلم والترمذي إلى آخر أولئك الأئمة، العمدة في هذا الباب على أقوالهم وعلى تقريراتهم.

فالحديث الضعيف قال شيخ الإسلام ابن تيمية أهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في أصل من الأصول، بل إما في تأييده وإما في فرع من الفروع.

فأهل الحديث يذكر عنهم شيخ الإسلام أن طريقتهم أن يستدلوا بالحديث الضعيف في تأييد أصل من الأصول، إذا كان الأصل ثابتا في الكتاب والسنة فلا بأس أن تحشد له ما جاء من الأحاديث حتى ولو كانت ضعيفة، أو في فرع من الفروع أي في مسألة فقهية تورد لها الحديث الضعيف، وذلك إذا لم يكن في الباب إلا هو.

وهذه هي طريقة الإمام أحمد أكثر أهل الحديث في أنهم يحتجون بالحديث الضعيف في الفقه إذا لم يكن في الباب إلا هو، لأنه الحديث ضعيف خير من الرأي، والمقصود بالحديث الضعيف الذي يقبل أن ينجبر.

أما في فضائل الأعمال فيجوز أن يستشهد بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال وأن يذكر لأجل ترغيب الناس في الخير، وهذا هو المنقول عن أئمة الحديث وأئمة السلف وقد روى عن سفيان وعن غيره قال: إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل تساهلنا.

وهذا في باب الترغيب والترهيب فيه واسع بشرط أن يكون ما حواه ذلك الحديث من الترغيب أو من الترهيب لا يناقض أصلا أو لا يناقض قاعدة أو آية أو حديثا.

والله أعلم.

س2/ فضيلة الشيخ تكلمتَ عن المسابقة مع الزمن في عمل الخير والدعوة إليه فيا ليت لو تذكر الفرق بين ذلك، والعجلة المنهي عنها في الدعوة؟

ج/ المسابقة هي أن يستغل الوقت؛ جميع الوقت في عمل الخير؛ لأنك إذا تأخرت في الإقدام على الخير فإن أهل الشر لن يتأخروا في الإقدام على الشر والدعوة إليه وتحبيب الباطل والشهوات إلى الناس، فإن علمت سابقتهم وصاحب الخير سابق بإذن الله.

وأما لا العجلة المنهي عنها في بعض الحالات وفي بعض الأحاديث كقوله جل وعلا ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾[الروم:60].

وكقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ «**ولكنكم قوم تستعجلون**» هذا المراد به العجلة في حصول ما وعد الله جل وعلا به من النصر لأوليائه والعز لأهل طاعته والذل لأهل معصيته.

فهذا هو الذي نُهي عن أن يستعجل قدر الله جل وعلا أو أن يستعجل أمر الله جل وعلا.

والأمر الثاني مما نهي عنه في الاستعجال أن تحمل المرء العجلة أن يرتكب منهيا عنه في الدعوة، أو أن يرتكب وسيلة من الوسائل التي لا يقرها أهل السنة والجماعة ولا توافق ما جاءت به النصوص لأجل تحصيل الخير، فإن أهل السنة ليست عندهم الغاية تبرر الوسيلة، بل لابد أن تكون الوسيلة مشروعة حتى توصل إلى الغاية المحمودة.

وإذا نظرت إلى قصص الأنبياء هذا نوح عليه السلام مكث في قومه ما مكث، مكث فيهم ألف سنة إلى خمسين عاما وما آمن معه بعد ذلك إلا قليل، كما قال جل وعلا ﴿**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[هود:40]، قال المفسرون: إن الذي آمن مع نوح بضعة عشر ما بين رجل وامرأة. وأكثر ما قيل إنهم كذا وسبعون ما بين رجل وامرأة، هذه حصيلة ألف سنة إلا خمسين عاما.

ليس المقصود أن تحصل النتائج، ولكن المقصود أن تسعى في الدعوة والخير والإصلاح على نور من الله وعلى وفق ما قرره أهل العلم وما دلت عليه النصوص حتى تكون هذه العبادة وهي الدعوة صائبة، أما إذا استعجل في ذلك استعجل في الإصلاح، بمعنى اتخذ المرء وسيلة غير مقرة شرعا لأجل أن يصل إلى النتيجة، فإنه إن وصل لا يكون محمودا لأنه اتخذ وسيلة غير مشروعة، فلابد أن تكون الوسيلة مشروعة، ولابد أن تكون الغاية محمودة.

والله أعلم.

س3/ فضيلة الشيخ: قلتم أن الحق أنواع، فهل الحق يتعدد؟

ج3/ هذا السؤال كأن السائل يريد أن نوضح له ولغيره هـذه المقالة، الحق واحد لا يتعدد؛ يعني الحق الذي يرضـاه الله جل وعلا، وهو حكمه الشرعي، واحد لا يتعدد، في المسـائل الـتي اختلف فيها العلمـاء، ليس ثم حق وحق وحـق؛ بل الحق واحد ومن خـالف الحق إما أن يكـون مخطئا معـذورا وإما أن يكـون عاصيا.

وأما الحق الـذي عنينـاه هو فـروع ذلك الحـق، وهـذا كقوله جل وعلا ﴿**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾[الأنعام:153] فوحد الصراط وهو سبيل واحد، ﴿**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾ فجعله صـراطا واحـدا، وجعل سـبل الباطل كثيرة فقـال عَلَيْـهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ﴿**وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ**﴾، ومع ذلك لسبيل الله جل وعلا لسبيل الحق سبلا قال سبحانه ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[العنكبوت:69]، السبل هذه في داخل الصراط، سبيل واحد يجمعها، وهو القرآن وهو الإسلام وهو السنة كما فُسّر بذلك قوله جل وعلا ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾[الفاتحة:6]، أن الصراط المستقيم هو الإسلام والسنة والقرآن، وهـذا الصـراط في داخله سـبل وفي داخله شعب؛ لكن ليست مفرقة عن ذلك السبيل ليست مبعـدة من سلكها عن ذلك السـبيل الـذي هو فيها إن سـلك شـعبة من تلك الشعب فهو فيها.

وكـذلك إن قلنا إن الحق أنـواع، وإن الحق ذوا فـروع وله شعب فنزيد فروع الحق الداخلة في السبيل الواحد وفي الحق الواحد.

س4/ فضيلة الشيخ: من العلم ما تعلمه ضروري متعين على كل أحد، ما الطريقة المثلى لتحصيله؟

ج4/ العلم قسمان: فرض عين وفرض كفاية.

فرض العين هو الذي يجب على كل مسلم أن يتعلمه وهو ما به تصح عباداته وتصح معاملاته، وأصل ذلك أن يصح القلب في الإخلاص؛ يعني أن يتعلم التوحيد وضده، هذا فرض عين، وأن يتعلم ما تصح به صلاته من الشروط والأركان والواجبات، يتعلم هذا فترة من عمره أسبوع على أحد أهل العلم حتى يضبط ذلك.

كذلك إذا كان له أموال يتعلم كيف يخرج الزكاة، أو كيف يحصي الزكاة، وكيف يحسب الزكاة، إذا كان يبيع ويشتري لا بد أن يتعلم أحكام البيع الجائز وأحكام البيع غير الجائز، ويسأل أهل العلم حتى يكون فيما يأتي ويذر على بينة.

هذا القسم فرض عين، فكل من يحتاج في العمل أو في العبادة إلى أحكام شرعية يمارسها دائما فإنها تكون فرضا عليه في صلاته وزكاته وسائر أركان الإسلام.

مِن أمثل ما يُطلب به ذلك في التوحيد كتاب ثلاثة الأصول للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فإن ذلك الإمام نظر إلى سؤال الملكين في القبر يسألان العبد عن ربه وعن دينه وعن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا دخل العبد القبر، إذا أُدخل القبر ووري عليه التراب أتاه الملكان فيسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ هذه الأسئلة الثلاثة سماها الشيخ محمد رحمه الله سماها ثلاثة الأصول، وأجاب عنها وأجاب عن هذه الأسئلة بالأدلة في رسالة صغيرة سماها ثلاثة الأصول، هي

أجوبة تلك المسائل، فمن درسها وتحفّظها وكانت دائما على ذُكْرٍ منه فإنه حري بالتثبيت في ذلك السؤال.

قال العلماء: يكفي أن يتعلم أجوبة تلك المسائل في عمره مرة مع دليلها حتى ولو نسي بعد ذلك كافيا، إلا إذا أتى رده تتخلل ذلك فإنه يجب عليه أن يعود فيتذكر ذلك ليدخل في الإسلام عن دليل لا عن تقليد.

هذا في التوحيد هذه رسالة مختصرة.

أما في أمور الصلاة والزكاة، فله أيضا رسالة آداب المشي إلى الصلاة عن بعض كتب الفقهاء.

س5/ فضيلة الشيخ: كثرت هذه الأيام بين الشباب النقاشات والجدال وبين محق وبين مخطئ، وذلك يعود لأسباب أهمها اتباع الهوى وترك منهج السلف الصالح، فإذا قيل لأحد قال الله قال رسوله كان جوابه هذا صحيح؛ ولكن ثم بدأ يعدد حججا عقلية لا صلة لها بالدليل، هل من وصية لهذا الصنف من الشباب؟

ج5/ الوصية وصيتان، وصية لهذا الصنف ووصية أيضا لغيره.

أما الوصية لهذا الصنف: فإنها ضُمّنت في أثناء المحاضرة في أن الواجب عل العبد أن يكون مخلصا لله جل وعلا مبتعدا عن الهوى وعن أسبابه، وأهل الدين وأهل الخير كل يريد صلاح قلبه ونفسه وصلاح من حوله، ولا بد أن يحاسب المرء نفسه في أن يكون الدليل وقول أئمة أهل السنة وأئمة الإسلام وعلماء السنة وأن يكون قولهم محكّما وألا يذهب إلى آراء وأفكار ليست مقرًّا بها عند أولئك الأئمة وليست معروفة عند أهل السنة فيما كتبوا في عقائدهم وأقوالهم.

فالواجب على هذا وعلى أمثاله أن يتقوا الله جل جلاله، وأن يسعوا في تطبيق السنة في أنفسهم قولا وعملا، وأن يتبعوا ما قال الله جل جلاله وما قاله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن لا يكون في القلب حرج مما جاء في الكتاب والسنة.

فإن الصحابة رضوان الله عليهم لما عاهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريشا وأمدّها في عهدها عشر سنوات في الصلح المعروف بصلح الحديبية، كان كثير من الصحابة أن الخير في قتالهم، وأن جهاد أولئك المشركين وفتح مكة أنه خير.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطاهم ما أعطاهم حتى قال عمر ﷺ: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: «**بلى**» قال على ما نقبل الدية في ديننا؟ والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما بلّغ وفعل ما أمره الله جل وعلا به، فكانت عاقبة اتباع أمر الله جل وعلا وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطاعة الله وطاعة رسوله أن كان ذلك الصلح الذي كان ظاهره ضد المسلمين وضد الصحابة أن كان ذلك الصلح فتحا مبينا، أنزل الله جل وعلا فيه آيات عظيمات قوله سبحانه ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾[الفتح:1]، وذلك الفتح هو صلح الحديبية؛ لأن الله جل وعلا جعل ذلك الصلح فيه من الخيرات والفتح للمسلمين ما قووا به وما انتشرت به الدعوة، وتبعه فتح خيبر وتبعه انتشار الإسلام وقوة أهل الإسلام على من عاداهم، فكان فيه أنواع من الخير والفلاح.

فإذن طاعة الله وطاعة رسوله هو الخير وهي الصلاح فإذا ترك العبد هواه وما يشتهي وآراء التي في ذهنه أو في قلبه إلى ما دلت عليه النصوص على فهم الصحابة وعلى فهم أئمة

الإسلام فإن ذلك عاقبته هي الخير ولا بد من الإتباع وترك الابتداع والحق قديم.

الجهة الثانية أنه يجب على المسلمين وخاصة الذين يهتمّون بهذه الأمور وأمور الخلافات أن يمتثلوا الوصية العامة بالائتلاف وعدم الاختلاف وأن لا يجعلوا للشيطان عليهم مدخلا فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرنا في الصلاة بتسوية الصفوف وقال «**لتسوننّ صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم**» وقال أيضا «**لينوا بين يدي إخوانكم**»، وهذا هو الواجب وهو أن يتعاون مع إخوانه على البر والتقوى، وأن لا يتعاون معه على الإثم والعدوان، وأن لا يعتقد أنه هو المفضل على غيره بل يحاسب نفسه ويتمنى أن يكون غيره مهتديا، كما أن الله جل وعلا هداه، وكل يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.

والواجب على الناس الائتلاف وعدم الاختلاف؛ لأن الله جل وعلا من علينا بالائتلاف والمحبة ومن علينا بأنه لا مشاحنات ولا تحزبات ولا فئات فيما بيننا.

هذه نعمة عظيمة وتحصل النزاعات ويحصل الفراق إذا فرط العباد في أمر الله جل جلاله كما قال جل وعلا مخبرا على النصارى ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾[المائدة:14]، قال سبحانه﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ**﴾ يعني أن يتبعوا العلم وأن يتركوا الهوى وأن يتبعوا ما جاءهم وما أخذ عليهم من الميثاق، ﴿**أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ**﴾ يعني تركوا بعض ما ذُكِّروا به، تركوا نصيبا مما

أمروا به ومما نهوا عنه، فماذا حصل؟ كانت العاقبة أن عاقبهم الله جل وعلا في الفرقة فيما بينهم قال سبحانه ﴿**فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾، وقد قال ابن شهاب الزهري وغيره: إنما تفرقت اليهود النصارى من قبل الآراء والأهواء. فالآراء والأهواء هي التي تفرق، واعتماد الدليل واعتماد ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه جل وعلا هو الذي يجمع الناس ويؤلف بين قلوبهم، ﴿**وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا**﴾[آل عمران:103].

نعمة عظيمة يجب على الصغار والكبار والشباب والشيب أن يسعوا في تثبيتها وفي تحصيلها، وإذا حصل أخطاء وزلات فإن الواجب المناصحة بدل المعاداة؛ لأن لكل مؤمن نصيب من الوَلاية والمحبة قال جل وعلا ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾[التوبة:71]، فإذا قام اسم الإيمان كان لصاحبه نصيب من الولاية والمحبة، ومن محبة المؤمن للمؤمن، ومن موالاة المؤمن للمؤمن أن يسعى في خيره، وأن ينصح له ويحب له ما يحبّ لنفسه.

هذا وأسأل الله جل وعلا لي ولكم مغفرة الذنوب والتسديد في الأقوال والأعمال وأن يغفر لنا ولوالدينا، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يقينا شر أنفسنا، وأن يوفقنا وأن يوفق ولاة أمورنا وعلماءنا والمسلمين أجمعين لما فيه خير الإسلام والمسلمين، وأن يعيذنا من شر أنفسنا والشيطان، وأن يقيمنا على الهدى ما حيينا، وأن يتوفانا وهو راض عنا، وأن يجمعنا في الجنة كما جمعنا في هذا المسجد.

اللهم استجب، اللهم اغفر فاغفر جما.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

أعدّ هذه المادّة: سالم الجزائري